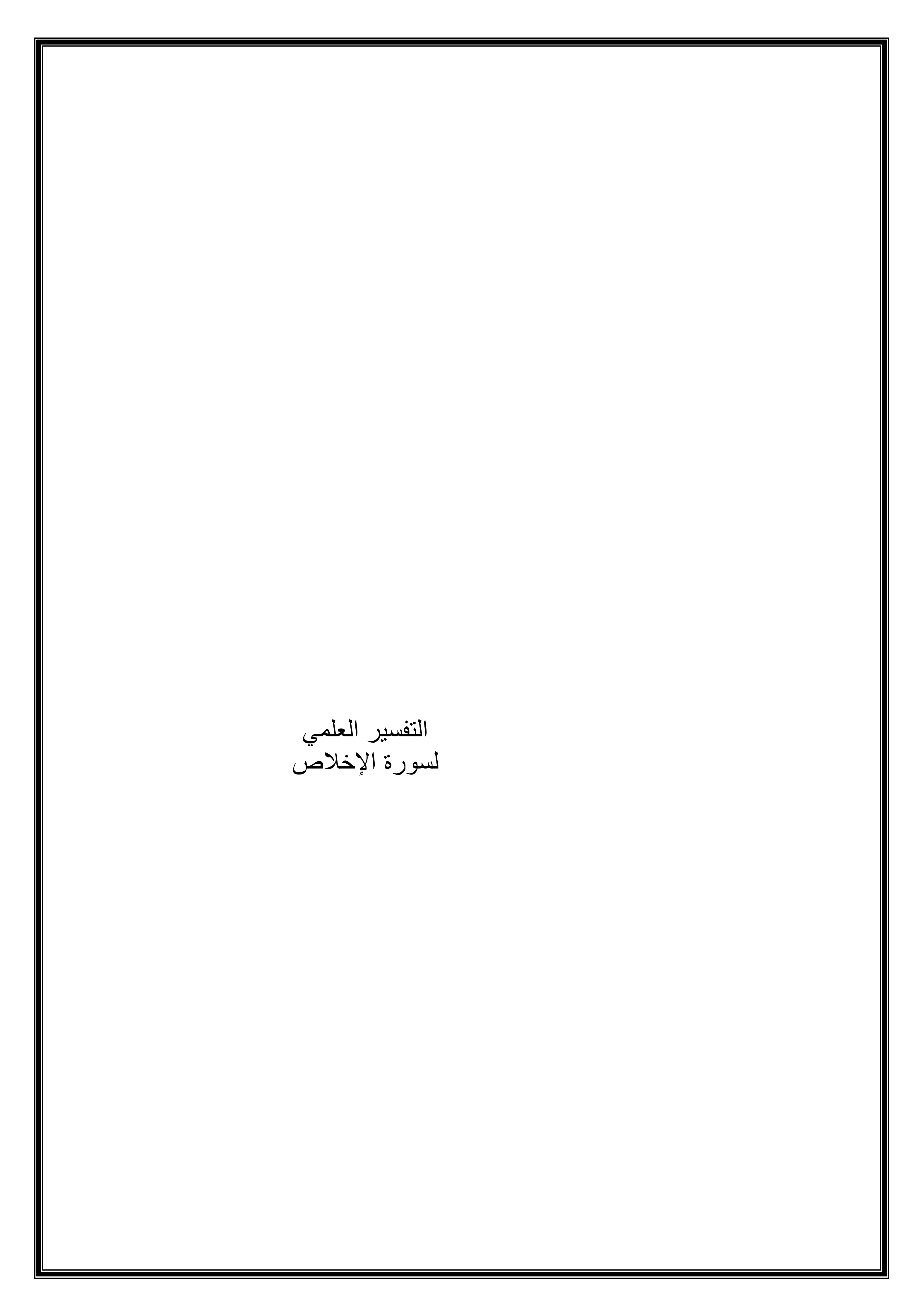


التفسير العلمي
لسورة الإخلاص

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٧/٤/١١٤٧)

٢٢٢، ٦
الراوي، عمر محمود
التفسير العلمي لسورة الإخلاص/ عمر محمود الراوي – عمان:
دار المأمون، ٢٠٠٧
(٥٥) ص.
ر. أ. : (١١٤٧/ ٤/ ٢٠٠٧).
الواصفات: تفاسير القرآن// سور القرآن// الإسلام/

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٧/٤/١٢٢٥

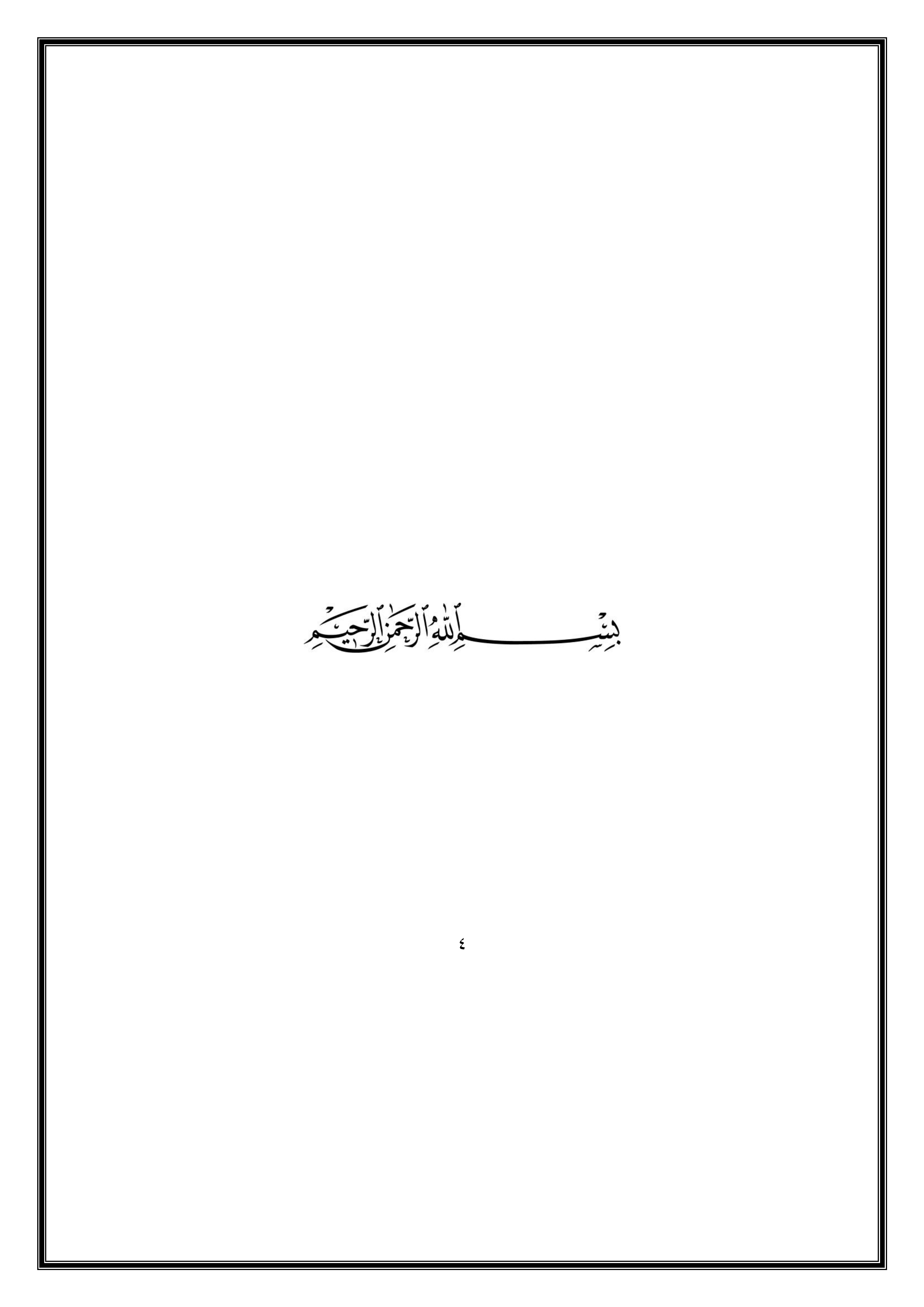


دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

التفسير العلمي
لسورة الإخلاص

د. عمر الراوي





بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

استلمت هدية من صديق حميم عبارة عن كتيب صغير بعنوان تفسير سورة الإخلاص وفضائلها ولا تحتاج قراءته لأكثر من نصف ساعة، وفكرة مثل هذه الكتيبات جيدة حيث إنها خفيفة على النفس وتعطي الكثير من المعلومات. وبصورة عامة فإن موضوعاتها مهمة كما في هذا الكتيب، وعند قراءتي للكتيب أحسست أن المعاني التي ذكرت طيبة لكنها غير كافية لإيصال المعنى إلى القلب والعقل لتوضيح قيمة هذه السورة حيث إنها استعملت الآراء المنقولة من عصر كان فيه الناس يفهمون لغتهم لغة العرب واستعملت فيها طريقة عرض التفصيل اللغوي الذي لا يستطيع عامة الناس مسايرته وفهمه.

لذا وجب استعمال أمثال توضيحية مفهومة بلغة مقاربة لما هو متداول بين المثقفين لتكون أكثر إقناعاً وإفهاماً.

ولما وجدنا أن لغة العلم أو العقل والمثل العقلي التطبيقي قد ساد في هذا العصر فإننا يجب أن نجعلها

قسماً مهماً من أساليب التوضيح مما يجعل الموضوع أقرب إلى قلب السامعين والقارئين. لذا راجعت الموضوع وناقشت بعض أهل العلم واجتهدت لأقدم هذه الرسالة التي أرجو من الله قبولها خالصة له. كما أرجو أن أكون قد وفقت لإيصال هذا المعنى إلى قلوب الناس في هذا الموضوع المهم.

ولكوني من البشر فإني أخطئ وأصيب وأرجو تصويبي إن كان في ما قلت خطأ فأنا لا أصر على الخطأ ولا حاجة لي بذلك.

وهنا أقدم جزيل شكري للأستاذ الكبير محمود بن الجميل مؤلف الكتيب الذي سأتابع المعلومات من كتيبه دون الإشارة إليه، وشكري كذلك للأستاذ الدكتور كاصد ياسر الزيدي على كتابه القيم (الطبيعة في القرآن الكريم) الذي اقتبست منه الكثير دون الإشارة إليه.

تفسير سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

لم أجد موضوعاً ظهر فيه أمر هذا الدين أعظم من التوحيد ولو راجعنا هذا الموضوع لوجدنا أن التوحيد هو صلب كل موضوع وأساس كل عبادة لا بل هو المخلص الوحيد:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

ولكن التوحيد في ذاته قد دخل عليه الاختلاف فأراد شياطين من الإنس والجن تمييعه والالتفاف عليه، فكان الله لهم بالمرصاد حتى فضحهم في الكثير من الآيات البينات في كتابه العزيز، فحاولوا الدخول في ذات الإله وفي وحدانيته بالشبهات فقصمهم الله بإنزال سورة الإخلاص التي تعدل كما جاء في الصحيح ثلث القرآن.

أقوال المفسرين في سورة الإخلاص:

الإخلاص لغة: إخلاص الشيء بمعنى تنقيته، والمخلص هو الذي لا يشوبه شيء، ويقال تابع مخلص: أي أنه يتبعه بدون شائبة.

ويقال إن سبب تسميتها بذلك، ما قاله ابن عثيمين (رحمه الله):

"سورة الإخلاص: إخلاص الشيء بمعنى تنقيته، ويعني: التي نقيت ولم يشبها شيء، وسميت بذلك؛ قيل: لأنها تتضمن الإخلاص لله عز وجل، وأن من آمن بها، فهو مخلص فتكون بمعنى مخلّصة لقارئها، أي أن الإنسان إذا قرأها مؤمناً بها، فقد أخلص لله عز وجل. وقيل لأنها مُخلَّصة - بفتح اللام – لأن الله تعالى أخلصها لنفسه فلم يذكر فيها شيئاً من الأحكام ولا شيئاً من الأخبار عن غيره بل هي أخبار خاصة بالله عز وجل. والوجهان صحيحان ولا منافاة بينهما" انتهى. (تفسير سورة الإخلاص/محمود بن الحميل)

وهناك أقوال كثيرة فمن قال إنه بقراءتها يكتمل الإخلاص،أو هي المخلّصة من النار والله اعلم.

وسبب نزول هذه السورة: فيما رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه: عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي ﷺ (يا محمد انسب لنا

ربـك فـأنزل الله ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وزاد الترمـذي: قال (الصَّمَدُ) الذي لم يلد ولم يولد لأنـه ليس شـيء يولـد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وأن الله عز وجـل لا يمـوت ولا يـورث. ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

وروى أبو يعلى الموصلي: عن جابر بن عبد الله ﷺ أن أعرابياً جاء إلـى النبـي ﷺ فقـال انسب لنـا ربك فانزل الله عز وجل ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾وروي عن ابن مسعود ﷺ قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنـا ربك فنزلت هذه السورة.

وطرق هذه الأحاديث لا تخلو من مقال ومع هذا تفيـد أن سـبب النــزول هـو مـا كـان مـن لغـط عنـد المشـركين واليهـود والنصـارى مـن تشـبيه الله سـبحانه وتعالى بخلقه، فقد جعلوا لله جزءاً ومساعدين ومكملين، ولكـون التوحيـد مـن أهـم عقائـد المسـلمين كمـا أسـلفنا وللخروج من التأويل للآيات والأحاديث، ولقطـع دابـر الـذين يـدعون أن لهـم نسـباً مـع الله، أو أن لهـم قـوةً مـع قوته، أو أنهم معاونوه ومساعدوه، أنزل الله هذه السورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

شبهات الأديان في عصر الرسالة

وما نريد أن نبينه هنا، وجود أديان كثيرة في زمن نـزول الرسـالة، وأصـحاب هـذه الأديـان قـد تمرسـوا بأساليب الإقناع والكلام الملتف، وكل منها كان لـه رأي في الله سبحانه وتعالى، شركاً أو تصوراً للألوهية.

وقد كانت مسألة توحيد الخـالق سبحانه، من أهم المسائل التي جاء بها القرآن الكريم، بل هـي أخطرهـا جميعـاً، ولـم يكن المنكرون للإلـه وقت نـزول القرآن، بأكثر من المشركين به.

لقد أنـزل فـي وقت تفرقت فيـه أمم الأرض شـيعاً متباينـة كـل منهـا تعبـد آلهـة شـتى. ولـم تـنج مـن لوثـة الإشراك واحدة منها، ولعل أكثرها اقتصـاداً فـي الشـرك كان المجوس الذين كانوا يعبدون إلآهين: إله النور وإله الظلام ويصورونهما متصارعين هذا يخلق وهذا يبيد. (الطبيعة في القرآن/د.كاصد ياسر الزيدي)

لقد نزل القرآن في وقت أولع فيه أهل الأرض بعبادة آلهة متعددة معظمها من عناصر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والحجارة والماء والنار كما تحكيه الأساطير القديمة خاصة. ولدحض الشكوك والتأويلات اللغوية نزلت سورة الإخلاص وسنوضح هنا بعض هذه الشبهات ثم نوضح علاقة كل منها في تفسير كل آية منفصلة.

أ) **أقوال النصارى في الله:** لم يكن النصارى متفقين على رأي في وقت نزول القرآن، ودخول الكثير من النصارى في الإسلام نقل ما ترسب في نفوسهم من اختلافات حاول الشيطان الدخول منها إلى الإسلام.

وقصة التساؤل الذي جرى من عدي بن حاتم الطائي عند قدومه مسلماً إلى رسول الله ﷺ دليل على ذلك:

روى الطبري أن عدي بن حاتم قال جئت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب ذهب فقال:((يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرأ

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ

إِلَـٰهًا وَٰحِـدًاۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[التوبة ٣١]

فقلت يا رسول الله وكيف ذلك ونحن لم نعبدهم فقال أليس تستحلون ما أحلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم قال فذلك)).

وكانت فرق من النصارى وهي على نصرانيتها ولم تدخل الإسلام تدعي التوحيد، ولكنه كان توحيداً عجيباً فتقول إن الله ثلاثة في واحد، أو واحد في ثلاثة، وتقول إن هذا توحيد، وما هو إلا تلاعب بالألفاظ.

وهم يدعون أن في الإسلام مثل ذلك فمرة يعتمدون أن الله ذكر نفسه بلفظ الجمع كقوله تعالى

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر ٩].

وينسون أن هذا أسلوب معروف لدى العرب (وذلك للتعظيم).

ومرة أخرى يقولون إن التثليث موجود في كل سورة حيث يعتمدون على البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) فيقولون: إن هناك ثلاثة: الله والرحمن والرحيم. ويتجاهلون أن الرحمن والرحيم صفتا تمجيد لله سبحانه وتعالى يعرفها العرب.

ومن النصارى من قال: إن الجزء (وهو المسيح عليه السلام) ظهر من الكل (وهو الله سبحانه وتعالى) بواسطة مريم ويقولون: إن الله واحد وهذا جزء منه.

وآخرون قالوا إن مريم جزء من الثالوث وهكذا.

ولهذا نزلت سورة الإخلاص لدحض شبهات المسيحية كلها كما سنرى.

ب. أقوال اليهود في الله: اليهود في جملة عقائدهم أقرب الأديان (قبل الإسلام) إلى التوحيد، بالرغم من شبهتين: قديمة وحديثة فالقديمة ذكرها القران ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة ٣٠] بالرغم من معرفتهم بالعزير ومعرفتهم لأبيه ونسبه. وشبهته موجودة الآن في توراتهم المتداولة. والشبهة الحديثة أنهم جعلوا للملوك والجبابرة نسبا مع الله (سبحانه وتعالى). وبمراجعة سفر التكوين سترى الكثير من هذه الترهات.

جـ. أقوال عرب الجاهلية: وهؤلاء أشد الخلق شركا، فقد جعلوا لهم آلهة كثيرة جداً فكان منها المئات حول الكعبة إضافة إلى عبادة الكواكب فسموا عبد شمس وعبد مشارق، وعبدوا الحجارة وسموا عبد اللات وعبد العزى، وجاؤوا بآلهة من الدول المجاورة كهبل، وعبدوا كل الآلهة المعروفة في الحضارات المجاورة لهم فعبدوا تموز وعشتار

وهي من آلهة البابليين، وعبدوا هرمز وهو إله المجوس، وهكذا. ومع هذا كانوا يعرفون الله حق معرفته، ولكنهم لا يقدرونه حق قدره، وجعلوا له البنات والشركاء لذلك كانوا بأمسّ الحاجة إلى أمر واضح لا لبس فيه يوضح لهم التوحيد الحق فكانت سورة الإخلاص.

د-أقوال المصريين القدماء في الله: وهم كالأمم الأخرى يعبدون آلهة متعددة وكان آمون رع الذي يمثل قرص الشمس سيد الآلهة، وعلى الرغم من ادعائهم بسيادته إلا أن الآلهة عندهم تتصارع فيما بينها.

وخُصِّص الجزء التاسع والثلاثون من كتاب الموتى لوصف القتال بين الإلآهين الأقوى: إله الشمس و إله الليل أو إله النور وإله الظلام.

هـ- أقوال البابليين في الله: وآلهة البابليين كثيرة وكان مردوخ أهمها إضافة إلى عشتار وتموز وليل وتياما وآسو، وآلهتهم تصارعت وتحاربت ولكن الصراع فيما بينها قد انتهى أو اصطلحت لمصلحة أهل بابل، وقد عبدوا النجوم والكواكب إضافة إلى الشمس والقمر والماء والنار وكانت لهم الكثير من الأفكار حول الآلهة وتوحيدها، وكانوا يتناقلون ذلك ويثبتونه في بعض آرائهم.

و)أقوال المجوس في الله: وهؤلاء يدعون أن هناك إلاهين: هرمز وأهريميان، وهما في صراع أزلي لا يتوقف. فهرمز يعمر وأهريميان يدمر. ومع هذا يقولون إنهما إلاهان في إله واحد ويدعون بذلك التوحيد بالإله المتوازن أو الإله الذي يحفظ الكون. وهم يعبدون هرمز إله النار ويقولون إنه هو الإله الأول وقد تمنى مرة أن يكون له ند ولكن هذه الأمنية كانت سيئة؛ فظهر منه أهرميان وأصبح عدوه اللدود؛ لذلك فهم يقدسون النار ويقولون: إنها سبب البقاء، والماء سبب الفناء ولذلك أوقدوا نارا استمرت موقدة لأكثر من ألف عام. وقد حدث يوماً أن وجدوا أنها قد انطفأت وكان هذا يوم ولادة النبي ﷺ، ولكنهم أوقدوها إلى أن أطفأها المسلمون، ولازالوا يتعبدون ويحتفلون بيوم النار(نوروز) وهو عندهم كذلك (اليوم الذي يحكم فيه رب القمر على الأرض في دورتها القمرية)(محمد الخالصي- كتاب النور ص٨).

ي-أقوال اليونانيين (الإغريق) في الله: وكانوا يؤمنون بعدد كبير من الآلهة وجعلوا للآلهة معبداً تجتمع فيه ويعتبر زيوس عندهم السيد المطاع في الالهة وزوجته أفروديت وأبنته اثينا إضافة إلى العديد من آلهة الرياح والبحر والنجوم والخير والخصب، وهناك خدم آلهة من الآلهة، والآلهة

عندهم أخيار وأشرار يتصارعون فيما بينهم وقد ينحاز إله أو إلهة إلى الأقوى ومن الممكن للآلهة إن تتزوج بشراً، ومن الممكن أن يرقى البشر إلى الإلهة بأكلهم من ثمار خاصة. هذا إضافة إلى عبادتهم للكواكب والشمس والقمر فقد عبدوا الشمس وسموه الإله توم (الإله السرمدي الموجود بذاته وهو الذي يفيض على العالم الحياة).(كتاب الأدب والدين عند قدماء المسلمين لأنطوان زكدي).

ك- أقوال الهنود في الله: آمن الهنود بتعدد الآلهة ونقصد بالهنود الهندوس والبوذيين والسيخ فكلهم يجعلون الآلهة متعددة.

وينفرد الهندوس بتقديس البقرة وبعض الحيوانات. وقد وضعوا للآلهة أعمالا يجب أن تؤديها.

والبوذيون يؤمنون بأن الإله يخلُقُ إلهاً بطريقة يقولون إنه يظهر بها منه من دون أن ينقص ولا يكون نداً له. وهو ما يسمونه ولادة إله. وهي أقرب فكرة إلى المسيحية. ويدعون أن الإله سيكون كاملا وعظيما.

وهكذا فإننا لا نرى أمة من الأمم إلا وهي إما مشركة بالله سبحانه وتعالى آلهة أخرى أو تجعل له أجزاء أو أبناء أو عشيرة من الآلهة، أو تجعل الآلهة متعددة تتصارع أو تتفق فيما بينها وقد تسللت هذه الأفكار والمعتقدات إلى الأديان المنزلة من عند الله

كاليهودية والمسيحية وذلك بتمييع الكلمات والترجمة واعتماد النسخ غير الصحيحة أو تعمد التخريب من شياطين الإنس، أو تلبيس إبليس على العباد الذين لا يعرفون حقيقة الدين. لذا كان من الضروري أن ينزل الله سبحانه كلاماً لا يقبل التأويل ولا يمكن تفسيره إلا بمعنى واحد ولا يقبل الشرك فيه أبداً، ويقول سيد قطب عن سورة الإخلاص:

((هذه السورة إثبات وتقرير لعقيدة التوحيد الإسلامية، كما أن سورة الكافرون تنفي أي تشابه و التقاء بين عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك وكل منهما تعالج حقيقة التوحيد من وجهة وقد كان الرسول ﷺ يستفتح يومه في صلاة سنة الفجر بالقراءة بهاتين السورتين وكان لهذا الاستفتاح معناه ومغزاه)) (في ظلال القرآن).

تفسير(قل هو الله أحد)

أقوال المفسرين فيها:

قال ابن كثير في تفسير (قل هو الله أحد): لما قالت اليهود نحن نعبد عزير ابن الله وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله وقال المجوس نحن نعبد الشمس والقمر وقال المشركون من العرب نحن نعبد الأوثان،

أنزل الله على رسوله ﷺ ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) يعني الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل. ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله" .

وقال ابن عثيمين رحمه الله قوله ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)):

(قل): الخطاب لكل من يصح خطابه – وهنا يختص به في وقت نزوله الرسول ﷺ ثم بعد ذلك كل من سمع و قرأ

(هو): ضمير وأين مرجعه.؟ قيل: إن مرجعه المسؤول عنه، كأنه يقول: الذي سألتم عنه الله، وقيل: (هو) ضمير الشأن و(الله) اسم الجلاله مبتدأ ثانٍ، و (أحد): خبر المبتدأ الثاني، وعلى الوجه الأول تكون (هو) مبتدأ و (الله) خبر المبتدأ و (أحد) خبر ثانٍ.

(الله): هو العَلَمُ على ذات الله المختص بالله عز وجل، لا يتسمى به غيره وكل ما يأتي بعده من أسماء، فهو تابع له، إلا نادراً. معنى (الله) الإله: وإله بمعنى: مألوه أي معبود، لكن حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال، كما في (الناس) وأصلها: (الأناس). وكما في: (هذا خيرٌ من هذا) وأصلها: (هذا أخير من هذا) لكن كثرة الاستعمال حذفت الهمزة، فالله عز وجل (أحد) و (أحد) لا تأتي في العربية إلاّ في النفي عندما تقول: لا أحد. (تفسير سورة الإخلاص/محمود بن الجميل)

التفسير العلمي (قل هو الله أحد)

الله يأمر الرسول ﷺ وكذلك القارئ والسامع بأن يقول (الله أحد) وكلمة أحد جاءت هنا مثبتة لله سبحانه وتعالى. والكلمة (أحد) لا تعني واحدا بالرغم من أن (واحد) هو أحد الأسماء الحسنى التسعة والتسعين التي يمكن دخول الشبهة منها.

فالواحد هو رقم من سلسلة أعداد طويلة في علم الرياضيات، أما رقم أحد فغير موجود في هذا العلم. وفي علم الرياضيات نجد أن رقم واحد بين الصفر والاثنين، وإذا أردنا كتابة سلسلة أعداد أطول من ذلك فإننا نكتب -٢، -١، صفر، ١، ٢ وهكذا. وإذا أردنا أن نمد هذه السلسلة فإننا سنبتدئ بـ(- مالانهاية) ونصل إلى (+ ما لانهاية) من الأرقام، عندها لن يعطي (واحد) معنى اسم الجلالة (الواحد) وكذلك فإن (واحد) له نصف وربع وثلث وخمس، وهكذا. فنقول: نصف واحد، وربع واحد، وخمس واحد، إلى أجزاء عديدة.

ورقم واحد يدخل في الحاسوب على أساس المقابلة للصفر، وهو أساس كل معلومة تدخل الحاسوب، والمختصون يعرفون هذا المعنى ولكن كلمة الواحد لا يراد بها هذا المرادف الحاسوبي . فالله (الواحد) سبحانه أراد أن لا ندخل في شبهة العدد فأعطانا كلمة (أحد) التي كما قلنا لم يستعملها العرب إلا للنفي عندما تقول لا

أحد. فهي لا واحد ولا اثنان ولا ألف ولا نصف ولاربع ولا شيء. فهنا كانت الدقة اللفظية التي لا تدخل منها شبهة أبداً. و(الله أحد) والأحد غير قابل للتجزئة (علميا). فلا يمكن أن تقول: نصف أحد. وليس لها مضاعفات، فلا يقال عشرة أحد. ولا يدخل من خلال النظام الرقمي المعروف الذي نسميه (برمجة الحاسوب). ولو حاولنا إدخال (أحد) في البرمجة كما فعل أحد الهواة فإن النتيجة ستكون في المالانهاية. وهذا يعني أننا إذا أدخلنا صفة القوة سيكون (الأقوى) أي أن أعظم رقم نصل إليه في القوة هو لا شيء أو صفر بالنسبة إلى قوة الله في القوة. وإذا أعطينا صفة الكرم فسكون (الكريم) أي أن أعلى رقم نصل إليه (ولو بملايين الملايين) هو صفر بالنسبة إلى كرمه. ولو وضعنا صفة جلال الملوك والقادة وضاعفناها ملايين ملايين المرات فستكون لا شيء أو صفرا بالنسبة إلى جلاله.

والأحد هنا يخرجنا تماماً من أي شبهة يمكن استعمالها مما عرفنا من الأديان، كما يدعي النصارى: بأن الله ثالث ثلاثة. وهذا ما رأيناه في إحدى المناظرات، ورأينا كيف أن النصراني يريد أن يثبت بالقران أن الله ثالث ثلاثة، ففسر البسملة: (بسم الله الرحمن الرحيم) بأن الله ثلاثة وهم: الله والرحمن والرحيم. ومعلوم أن الرحمن والرحيم هي صفات لله

عز وجل، فإذا قلنا عمر العادل فإننا لا نتحدث عن اثنين، وكذلك علي الكرار ليس اثنين بل هما صفة وموصوف، وبالرغم من وضوح ذلك في اللغة فإن من يريد إدخال الشبهات سيحتال ويمكر للمرور على الحق.

وهذا ما افتراه بعضهم في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ فقالوا: إنه كلام لمجموعة آلهة وليس لإله واحد لما يدل عليه الجمع في: (نحن) و (حافظون). وهذا قول النصارى.

ومن ذلك قولهم بأنهم موحدون ولا سيما ما تقوله الكنيسة الشرقية حيث تقول: إن الله واحد في ثلاثة أو ثلاثة في واحد، وهذا لعب بالكلمات لا أكثر.

فـ(الله أحد) قطعت دابر المتسللين وفندت مزاعمهم وأنهتها أكثر من قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ لأنها إثبات لا يقبل التأويل.

وكذلك فـ(الله أحد) ردت على المتقولين أن الله واحد في اثنين فقال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ
٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾
[النحل ٥١-٥٢]

ونرى المجوس يحاولون أن يقولوا إن هرمز إله النار هو الباني للكون وأهريميان إله الماء الذي يدمر الكون ومع هذا يقولون إن الإلاهين هما واحد أو اثنان في واحد ولا أدري بأي لغة هم يتكلمون وهنا كانت (الله أحد) السيف القاطع والحصن المنيع للتوحيد، وهي الكلمة التي لا يستطيع أي مدع المرور عليها فلا اثنان ولا ثلاثة ولا أي عدد من الآلهة فهي (أحد) ستعطي كامل الضمير لاسم الله الحسنى (الواحد).

تفسير (الله الصمد)

أقوال المفسرين في تفسير الله الصمد:

نبتدئ بأقوال المفسرين في تفسير (الله الصمد) في ما نقله ابن كثير في تفسيره رحمه الله في معنى الصمد:

١. الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وهذا يعني أن ما جاء بعدها مفسراً لها.
٢. الصمد: هو الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم ومسائلهم أي يقصدونه لأنه لا يستطيع أحدٌ قضاءها غيره سبحانه وتعالى.
٣. الصمد: هو السيد الذي انتهت إليه السيادة في كل شيء وهو السيد الذي كمل سؤدده، والشريف الذي قد كمل شرفه، والعظيم الذي قد كملت عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، وهكذا في الصفات الحسنة.
٤. الصمد: هو المصمت الذي لا جوف له.
٥. الصمد: هو الذي لا يأكل ولا يشرب.
٦. الصمد: الباقي بعد فناء خلقه.
٧. الصمد: المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل واحد.

٨. الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. (تفسير ابن كثير)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: (الله الصمد) هذه جملة مستأنفة، بعد أن ذكر الأحدية، ذكر الصمدية، وأتى بها بجملة معرفة في طرفيها لإفادة الحصر، أي: الله وحده الصمد، فما معنى الصمد؟

قيل إن (الصمد) هو الكامل في علمه، وفي قدرته، وفي حكمته، وفي عزته، وفي سؤدده، وفي كل صفاته.

وقيل: (الصمد) هو الذي لا جوف له يعني: لا أمعاء ولا بطن، ولا ينافي هذا المعنى الأول، لأنه يدل على غناه بنفسه عن جميع خلقه.

وقيل (الصمد) بمعنى المفعول أي: المصمود إليه، أي الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها بمعنى: تميل إليه وتنتهي إليه وترفع إليه حوائجها، فهو بمعنى الذي يحتاج إليه كل أحد.

وينتهي ابن عثيمين رحمه الله إلى القول: "وهذه الأقاويل لا ينافي بعضها بعضا في ما يتعلق بالله عز وجل، ولهذا نقول: إن المعاني كلها ثابتة لعدم المنافاة فيما بينها " (تفسير سورة الإخلاص /محمود بن الجميل)

التفسير العلمي ل(الله الصمد)

في القاموس المحيط جاء في معاني الصمد (الصمدة صخرة راسية في الأرض ويقال ناقة مصماد باقية على القّر والجدْب دائمة الرسلِ) وهذا معنى الصمود أي أن الصمد هو من صَمَدَ يَصمِدُ فهو صامد وصَمَد، وهنا نريد أن نعرف هذا المعنى فإن كان هناك صخرة راسية في الأرض ثم جاءت إليها سيارة مسرعة وصدمتها فصمدت ولم تتحرك الصخرة فإننا سنقول صمدت الصخرة، ولو ضرب جدارٌ بكتلة كبيرة متحركة لفحصه ولم يتاثر فسنقول صمد الجدار، أي أن الفعل الخارجي المسلط عليه لم يؤثر فيه، وكذلك إذا وضعنا على هذه الصخرة مدفعاً ثم ضربنا المدفع ولم تتحرك هذه الصخرة الراسية بنتيجة رد الفعل فسنقول صمدت الصخرة، وكذلك لو ربطنا جهازاً نفاثاً على جدار وشغلناه ولم يتاثر الجدار أو يتحرك فسنقول صمد الجدار. وهذا قانون فيزياوي حيث إن لكل فعل رد فعل يساويه بالمقدار ويعاكسه بالاتجاه. وكذلك القانون الآخر الذي ينص على أن (مجموعة العزوم المسلطة على نقطة واحدة يجب أن يكون حاصلها صفرا في حالة السكون أو الصمود)، أي أن العزوم المسلطة على الجدار جابهتها عزوم ثبات الجدار وكما في باقي

الصفات في أسماء الله الحسنى فإن الله هو الكريم والرحيم والرؤوف فهو (الله الصَّمد). فالله سبحانه ليس لفعله رد فعل مهما عظم هذا الفعل او صغر.

وسيقول الكثيرون إن أفعال الله العظيمة في عظمته لابد لها رد فعل عليه مساو لمقدار عظمة الفعل، أو المقابل فإن الأفعال من المخلوقين مهما عظمت ليس لها أي تاثير عليه سبحانه لأن (الله الصمد)، لذا فإن الله سبحانه يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، أي لا يوجد ما يعقب أو يتبع فعله سبحانه وتعالى.

فـ(الله الصمد) لا تأثير لأي فعل على قوته سبحانه ولا لفعله (مهما عظم) ردة فعل تعاكسه بالاتجاه أبداً، فالصخرة جاء ثباتها أو صمدت لأن لها جزءا مثبتا في الأرض، أي أن ثباتها بثبات الأرض التي تحتها، ولو كانت بدون ثبات الأرض لارتدت بالأفعال والقوى التي تؤثر عليها.

وكذلك الجدار فإن ثباته بثبات أسسه أي أنه لو كان بدون أساس لما صمد للمؤثر الخارجي، أي أن كل الخلائق تحتاج إلى غيرها لثباتها، وهو قانون ثابت في الفيزياء وهو أمر نسبي، فالقوة التي نحتاجها لتحريك صخرة من مكانها هي ليست القوة التي نحتاجها لتحريك الكرة الأرضية، ومع هذا فليس هناك ما هو صامد بذاته إلا سبحانه، لا بل ثبت ما لا يقبل الشك أن

هذا الكون قد ينهار كله في لحظات ولو تجنبنا نظرية الكرومات في تكوين النيوترونات في الذرة لعدم قطعيتها فإن الكون من الذرة إلى المجرة محتاج إلى ثابت يستند إليه وهو قوة الله سبحانه وتعالى. فالخلق كله يصمد إلى الله أو بقوة الله، ولا نريد أن نذكر إلاّ مثالاً بسيطا عندما نقول إن تكوين الذرة وتكوين العناصر ثم الكواكب والشموس ثم المجرات والعوالم كله قلق إلى درجة أن العلماء لا يعرفون لأي شيء منها: صورة ثابتة، ولا صمود لها إلا بقوة الله الصمد. فالله هو ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد ٢]

وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تقعا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج ٦٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر ٤١]

وهو سبحانه يمنع الكون والخلائق من الانهيار والذهاب والانتهاء.

وهنا أخرجتنا (الله الصمد) مما يخطر على بال من أن الله قد يتأثر بالأفعال أو أن يقول أحد: أنا أستطيع التأثير بفعل جبار على الخالق، أو يعترض و يقول: إن الله عندما خلق الكون ارتد عليه هذا الفعل العظيم وتعب ولزم له الراحة كما قالت اليهود ذلك.

تفسير (لم يلد ولم يولد)

أقوال المفسرين في تفسيرها:

قال ابن كثير رحمه الله، وقوله تعالى:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.قال مجاهد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ يعني لا صاحبة له، وهذا كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[الانعام :١٠١]": هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه، تقدس وتنزه ، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن

يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]

وقال تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات: ١٥٨-١٥٩]

وفي صحيح البخاري (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، فإنهم يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم).

وقال البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: (قال الله عز وجل: كذبني بني ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون من

إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد) (رواه البخاري).

وقال ابن عثيمين (رحمه الله) معقبا على ذلك: ((ثم قال ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ هذا تأكيد للصمدية والوحدانية، قلنا: توكيد لأننا نفهم هذا مما سبق فيكون ذكره توكيداً لمعنى ما سبق وتقريراً له، فهو لأحديته وصمديته لم يلد ولأن الولد يكون مثل الوالد في الخلق وفي الصفة وحتى الشبه.

ولما جاء مجزز المدجلي إلى زيد بن حارثة وابنه أسامة وهما ملتحفان برداء قد بدت أقدامهما، نظر إلى القدمين فقال: هذه الأقدام بعضها من بعض)) (متفق عليه).

وقد ذكر المفسرون في هذا الموضوع وربطوا الصمد بما بعده وآخرون اعتبروا أن الصمدية تستوجب أن لا يكون له ولد. (تفسير سورة الإخلاص/محمود بن الجميل)

التفسير العلمي لقوله تعالي (لم يلد ولم يولد)

نحن نعتقد أنها منفصلة عن التي قبلها والتي بعدها حيث إن لكل آية موضوعا منفصلا تعالجه، والسورة بكاملها تعالج موضوع التوحيد كما قلنا، وهنا لا نعني بالولادة ما تعورف عليه بعد الحمل، ولم يقل ذلك أحد، وقول النصارى: إن الله سبحانه وتعالى كان له ولد من ولادة مريم لعيسى عليه السلام ينفيه قوله تعالى:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١]

فولادة عيسى (عليه السلام) من مريم لا تطابق باللفظ في أحسن الاحتمالات بـ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وكذلك قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥]

وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء:١١١]

وقولـــه تعـــالى ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] ومن هذا فإن الادعاء من النصارى واليهود بأن لله ولدا كان على أساس أن له ولد من مريم أو من أم العزير ولم يقولوا: إن الله هو الذي ولد.

والولادة بالمعنى العلمي أو في لغة العلم هي ظهور شيء من شيء عظيم جدا بحيث لا تكاد تؤثر هذه الولادة على الأصل.

ونضرب مثلاً توضيحياً على الولادة: فولادة الأرض من الشمس لم تؤثر على كتلة الشمس نسبيا بالرغم من الحجم الهائل لكرتنا الأرضية التي لا نكاد نصل إلى كل مجاهلها في وقتنا الحاضر.

ومع هذا فإن هناك كهفا على كوكب المشتري يمكنه احتواء ثلاثة كواكب مثل أرضنا مرة واحدة مع العلم أن المشتري هذا الكوكب العظيم له العديد من الأقمار كل قمر أكبر من أرضنا. وهناك كذلك كواكب كثيرة كبيرة كزحل والمريخ والزهرة؛ ومع هذا فكل كواكب مجموعتنا الشمسية يمكن إلغاؤها من حسابات

الكتلة واعتماد كتلة الشمس وحدها، ومن هنا تظهر لك عظمة الشمس التي لم تتأثر بولادة هذه الأرض العظيمة منها، ولم تؤثر على عظمتها بشيء.

ومثل آخر يصفه لنا الله تعالى في الحديث القدسي: (لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على صعيد واحد وطلب كل واحد منكم مسألته لم ينقص من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر) أي أن ما يحمله المخيط من الماء تافه نسبة إلى مياه البحر كلها، وهكذا. وكذلك ولادة الشمس من المجرة وولادة المجرة من الكون، وعلى عظم المولود فإنه لم يؤثر على الوالد.

وهناك العديد من الولادات العلمية في الكون والأرض وعلم البيولوجي والجيولوجي، فولادة الجبال وولادة الأنهار وولادة الأحماض الأمينية وولادة R.N.A من D.N.A وولادة الذرات وولادة الإشعاعات... الخ.

وهنا فإن الولادة العلمية لا تشترط أن يكون المولود شبيها للوالد أو نظيره. وفي هذا قد يأتي من يقول: إن إلهاً ولد من إله وهو لم يؤثر على الإله الوالد وعلى عظمته، وهو ما يقوله البوذيون والهندوس، فهم حتى لا يقعوا في حرج أن الله خلق إلهاً فيكون مخلوقاً لا إلهاً احتالوا في الكلام، وقالوا: إنه ولد من الله إله

ولكن لم يؤثر على عظمته، ولقطع هذه الدعوى وحفاظاً على التوحيد العظيم أنزل الله سبحانه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وبمنتهى المعنى فإن الله سبحانه لم يأت من إله أعظم منه بحيث إنه لم يؤثر على عظمة ذلك الإله ولم يولد منه إله ولم يؤثر على عظمته عليه فالله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لا مشابها ولا مختلفا، لا كبيرا ولاصغيراً، إضافة إلى ذلك المعنى الذي اتخذته النصارى واليهود بأن جعلوا لله ولداً سبحانه بمعنى الولد البشري ، فأحاط الله التوحيد وأظهره بما لا يقبل التأويل ولا التشكيك فقال ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

تفسير (ولم يكن له كفواً أحد)

أقوال المفسرين في تفسيرها:

أقوال المفسرين فيها قليلة جدا وربطوها بالتي قبلها.

قال النسفي: أي ولم يكافئه أحد أي لم يماثله. أقول: معنى الآية نفي المماثلة عنه وقال في السورة بعد أن ذكر قل هو الله احد الله الصمد: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾نفي للشبه والمجانسة، وقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفي للحدوث ووصف للقدم والأولية، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفي أن يماثله شيء، ومن زعم نفي المكافئ – وهو المثل في الماضي – لا يدل على نفيه في الحال (أي أنه لا يوجد مكافئ في الماضي ولكن سيكون له في المستقبل مكافئ سبحان الله عما يصفون)، والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه، لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة، إذ الحادث لا يكون كفؤاً للقديم، وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل، والسورة تدفع الكل كما قررنا).

التفسير العلمي لقوله (ولم يكن له كفواّ أحد)

بما أننا نتكلم بلغة العلم فيجب أن نعرف معنى المكافئ علمياً ولصعوبة الموضوع فإننا سنضرب مثلاً لذلك: لننظر ما العلاقة بين المئة والاثنين؟ الجواب : أنهما متكافئان ولكن غير متساويين، فالمئة تساوي الاثنين لو ضربت بخمسين: ٢ x ٥٠ = ١٠٠

وكذلك العكس صحيح أي أن الاثنين يساوي ١٠٠/٥٠ = ٢

فالخمسون هنا هو المكافئ الهندسي بين ٢والمئة وعندما تحدث متغيرات كثيرة بين مادتين سنرى أن هناك بينهما مكافئا ثابتا وهو المسمى عدد التكافؤ وهو في هذا المثل كان (٥٠) وستكون الأربعة مكافئة للمئة وعدد التكافؤ هو (٢٥).

وهذا المثل يمثل المكافئ الهندسي، وهناك المكافئ العددي أي أن ٥=٧ في حالة إضافة اثنين إلى الخمسة: ٥+٢=٧

فالعدد المكافئ بين الخمسة والسبعة هو اثنان.

وهناك مكافئات مختلفة فهناك المكافئ الكيماوي، والمكافئ الفيزياوي، والمكافئ الحراري، والمكافئ

البيولوجي، والمكافئ الكوني، والمكافئ الذري، ونرى هنا أن المكافئ لا يساوي، ولكن يمكن إن تكون بينهما علاقة تكافئية. وفي التكافؤ والمكافئ أمور معقدة علميا لا نريد الدخول إليها لأننا قد نحتاج إلى مجلدات لتوضيحها ولكن كلها تعطينا المعنى كما في مثلنا للمكافئ العددي البسيط.

ولتوضيح المكافئ الفيزياوي أو الحراري في أبسط صوره لنضرب مثلا عليه. فلو جمعنا مئة غرام من الحديد بدرجة مئة مئوية مع مئة غرام ماء بدرجة صفر مئوية فالنتيجة لن تكون درجة حرارة خمسين مئوية لأن المكافى الحراري للماء أعلى بكثير من المكافئ الحراري للحديد فالنتيجة ستكون ٣٠ درجة مئوية تقريبا. وكذلك لو أبدلنا الحديد بالذهب أو النحاس فلكل معدن أو عنصر مكافئ حراري مختلف. كذلك التمدد فإن كل درجة مئوية سوف تمدد أنبوبا من الحديد طوله متر حوالي ٢مليم، بينما النحاس يتمدد ٣ مليم لأن مكافئ التمدد للحديد يختلف عن النحاس. والمكافئ البيولوجي هو أن أنزيما ما يستطيع إنتاج كذا كمية من البروتين. بينما أنزيم آخر له مكافئ بيولوجي مختلف ينتج كمية مختلفة، وهناك دائما مكافئ بينهما يمكن حسابه وتحسسه. ولا نريد أن نذكر مكافئات أكثر ولكن نقول إنه ليس بين الله سبحانه وتعالى و أحد من خلقه مكافئ أبدا، صغر أو كبر، وهنا نرى أنه لا يدعي أحد

أبداً أنه من الممكن أن يكون مساويا لله الخالق، ولكن قد يدعي الجزئية معه، أو أنه يمكن أن يكافئ الله في عظمته أو قوته ولو بعلاقة خيالية، كأن يكون مليون مليون مليون من الجزء مع الله، فالله أراد أن يقطع دابر المشككين أو الشياطين بأن لهم مع الله مكافئا فأنزل (ولم يكن له كفوا أحد). ومع هذا سيأتي شخص ويقول: نحن لا ندعي أننا مكافئون لله سبحانه فنحن البشر فينا نقص واضح ولكن هناك (أحد) وهو عظيم كذلك ويدعي أن له صفات الأحد التي ذكرناها في (قل هو الله احد) وله مع الله مكافئ ما، أيّ مكافئ، ولكن الله سبحانه قطع هذا الدابر فقال: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ولم يقل ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا ﴾ فقط وهذه لغويا تامة وكاملة لو كان المعنى لا يشمل (أحد)، أي لا كفؤ لله سبحانه لا في الأعداد ولا في الأشياء ولا في (الأحد).

وبهذا تكون سورة الإخلاص قد أحاطت التوحيد بسور لا يستطيع أحد الاحتيال عليه أو التلاعب به، فهي محكمة على التوحيد، لا تقبل التأويل ولا التمييع ولايستطيع الإشراك التسلل إليها مهما حاول شياطين الإنس والجن فعل ذلك. وما من سورة أنزلها الله من آدم إلى يومنا هذا أكثر إثباتا للتوحيد من سورة الإخلاص، ومن هذا جاء أن معنى الإخلاص هو (توحيد لله سبحانه وتعالى).

فضائل سورة الإخلاص

لسورة الإخلاص الكثير من الفضائل أولها: أنها تعدل ثلث القران والذي يقرأها كأنما يقرأ ثلث القران.

روى البخاري: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها، فلما أصبح جاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له، وكأن الرجل يتقالّها (يظنها قليلة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القران)

وروى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القران في ليلة) فشق ذلك عليهم وقالوا:أينا يطيق ذلك يا رسول الله، فقال (الله الواحد الصمد) ثلث القرآن)

ونحن لا ندري أهي في ثوابها تعدل ثلث القران أم أن التوحيد هو ثلث القرآن، و التوحيد الخالص كما رأينا هو في هذه السورة، فالنتيجة في كليهما في الثواب والمعنى، ففي صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل "قل هو الله أحد" جزءاً من أجزاء القران).

ويوضح ابن القيم ذلك: (أن القرآن مداره على الخبر والإنشاء ثلاثة، أمرٌ ونهيٌ وإباحة، والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه، فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القران، وخلّصت قارئها من الشرك العلمي، كما خلّصت سورة (قل يا أيها الكافرون) من الشرك العملي الإرادي القصدي ولما كان العلم بالشيء قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنْـزله كانت سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القران، والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر).

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ(قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله علية وسلم فقال (سلوه لأي شيء يصنع ذلك) فسألوه فقال: (لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أخبروه أن الله يحبه). وفي هذا الحديث العظيم نرى أن من أقصر الطرق التي توصل الإنسان إلى محبة الله عز وجل هو سورة الإخلاص، فهذا الذي اعتقد بها واندفع إلى قراءتها يوميا جعلت منه حبيبا لله سبحانه وتعالى فلا بد أن في سورة الإخلاص الشيء الكثير الذي جعلها في هذه المنـزلة، فيقول عنها ابن

القيم رحمه الله: (فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشرك بأي وجه من الوجوه).

والصمدية المثبتة له إضافة إلى جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص. إنه سبب ثبات وصمود الكون وإنه سبحانه لا يتطرق إليه الضعف أو الارتداد؛ لعظيم أفعاله ونفي أن يكون قد جاء أو ولد من شيء قبله أو ولد منه إله حتى ولو لم يؤثر عليه وعلى عظمته، ونفي الكفء أو الموازن أو الموازي مهما كان بينهما من مكافئ ونفي التشابه والتمثيل والنظير.

فالسورة تضمنت إثبات التوحيد بما لا يستطيع أحد تغييرها أو تأويله أو الدخول عليه كما حدث للأديان في الشبهات إلى أن انحدرت إلى الشرك. لذا جعل الله من فضائلها أن من أحبها دخل الجنة.

الفهرس

Contents